« الثقافة المغربية » في « مفترق الطرق »

الميثاق الوطني - 31 دجنبر 1993

ادريس كرم

من المجلات التي ظهرت في مرحلة الحماية بالمغرب مجلة كانت تسمى « الثقافة المغربية » بإدارة السادة سعيد حجي وأحمد بن غبريط بين سنتى 1941 - 1945 تحت شعار:

« الآداب والفنون والعلوم »

هادفة كما جاء في ظهر الغلاف لأن تكون:

مجلة الإسلام والعروبة - مرآة الماضي العربي - لسان الأدب المغربي

تبعث مفاخر الشرق - تنشر روائع الغرب

بيد أن هذه المجلة عرفت في مطلع صدورها موت أحد مؤسسيها الذي هو سعيد حجي، الأمر الذي جعلها تتوقف عن الصدور بعض الوقت كما عرفت نشوب الحرب العالمية الثانية، في سنة 1945 ، تمتنع المطبعة - التي كانت تصدر عنها المجلة - عن طبعها (انظر العدد 9 و 10 من شهر يوليوز 1945)

فكيف عاشت هذه المجلة؟ وهل حققت مبتغاها؟ يقول مديرها السيد أحمد بن غبريط في افتتاحية السنة الثانية (شتنبر 1942) تحت عنوان: « وجهتنا » :

« لم تمض أكثر من خمسة أشهر على وفاة الأخ المرحوم سعيد حجي حتى استأنفت « الثقافة المغربية » صدورها بعد أن كادت تقبر إقبارا، وهى ما زالت بعد في رونق شبابها وغضارة إهابها. مات الأخ سعيد، والدهر المجد يكاد يشرق بنا على الميعاد الذي

ضربناه للقيام معا بهذا المشروع الثقافي بعد أن وطدنا لجريدة « المغرب » أساسها ... ذهب الرفيق وتشعب الطريق ... في وقت أشرف فيه على مفترق الطرق. طرق ثلاث تؤدي إلى غي أو رشاد ... : فإحدى هذه الطرق فسيحة الأرجاء، تظللها أشجار باسقة عند اليمين والشمال، فلا تنساب فيها غير عربات الدعة والاطمئنان، وثانيتها لطيفة المنحدرات، شعرية المنعطفات، ولكن فيها اتكالا على الغير، والبعض فيها شبع وروى، وملائكة مقربون، والثالثة، وهى وجهتنا، رهيبة الأكناف، منيعة الأوتاد، لا تقع العين فيها إلا على أشواك، وصخور، ولكن فيها مسارب عبدها الطامحون المقتدرون ... وقد اثرنا سلوك سبيل هؤلاء الطامحين، على ما فيها من جهد وعناء، فأولئك هم هداتنا، الذين يمدون اليوم يد المساعدة، بما عززوا به « الثقافة المغربية » من نتاج أقلامهم وثمرات أفكارهم » يفهم من هذه المقدمة أن هناك مجالات أخرى، لها موارد ومساعدون، وما على الذي يريد أن يعمل مثل أصحابها إلا أن يتقدم في حين أن الساحة كانت فارغة، والمجلات التي صدرت في الثلاثينيات قد توقفت، كما أن معركة أواخر الثلاثينيات قد تركت وراءها مساجين ومنفيين وقتلى أشهرهم الكاتب الشاعر محمد القري.

فمن أين لصاحب « الثقافة المغربية » بهذا التصنيف؟

لنقرأ المقدمة الثانية للمجلة في نفس العدد المكتوبة من طرف خلف المرحوم سعيد حجي الذي هو الأستاذ علال الجامعي، والمعنونة بـ : « ثقافتنا » :

« عملنا على إصدار مجلة « الثقافة المغربية » معتمدة على الثقة بالله ... وعلى نفسها. أصدرنا مجلة « الثقافة المغربية » لتكون ميدانا فسيحا لكل مجيد مخلص من الكتاب ... ولهذا جعلناها محاطة بـ (زمرة) ممتازة مؤمنة بما ترمي إليه من تجديد، وما تنتظره من وثبات (عصبة) منتقاة من بين طبقات هذا الشعب الذي سيحمد لها جهودها وأغراضها السامية. ستكون « ثقافتنا » إذا صورة طبق الأصل لشعبنا الأديب، الذي أخذ يتجه إلى المساهمة في ميادين من العلم والأدب والفن التي ستعمل على إبراز مخبآتها، مظهرة للناس

روح الشعب المغربي الذي كان له قدم ثابت في الأولين ولسان صدق في الآخرين. ستخط لها سبيلا يخالف كل المخالفة ما نهج قبلها، لتصل إلى هدفها من غير تلكؤ، ولا انعراج، تختل أو التواء، لا تراعي إلا أداء الواجب المغربي، والواجب الثقافي الذي تكرس نفسها لخدمته، مقدرة حسن المصير. وإننا - مع ذلك - على بينة من أننا إن أرضينا العلم والأدب والفن كما يجب أن ترضى سنسخط كثيرا من أصدقائنا ولكن إرضاءنا للثقافة أحق بالإخلاد إليه، ولو أسخطنا العدد العديد ممن يريدون السيطرة على الرأي العام، والفكر السائد، والروح اليقظة في طائفة من « عصبتنا » المحبوبة، وأنصارنا العاملين، الذين نأخذ بأيديهم ساعين في إرضاء العلم للعلم، والأدب للأدب، والفن للفن، والثقافة للثقافة » .

من خلال هذا النص الإجلائي، يتضح أن المجلة مطلوب منها القيام بدور آخر غير ثقافي، بيد أن القائمين عليها يأبون السير فيه بالرغم من يقينهم أنهم سيفقدون مناصرين وأصدقاء يقاسمونهم نفس الأفكار والرؤى الغير الأدبية والفنية، ولعل الإشارة هنا إلى تنظيمات سياسية، نظرا للمسطلحات المستعملة مثل « زمرة » و « عصبة » و « السيطرة على الرأي العام » و « الفكر السائد » و « طائفة » تزكي ما نقوله اعتمادا على الصراعات الدائرة ساعتها بين السياسيين، حيث وقع انقسام في الحزب الوطني بين أنصار علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وأنصار عبد الخالق الطريس والشيخ محمد المكي الناصري، فكأني بالمجلة تريد عدم الدخول في الصراع، والبقاء عنه بعيدا، لذلك رفعت شعار: الثقافة للثقافة، هذا الشعار الذي سيغضب فعلا أنصار علال الفاسي والذي سيظهر بعد شهر من كتابة هذه المقدمة على شكل مجلة تحت اسم « رسالة المغرب » في شهر اكتوبر سنة 1942 لتصبح بلغة الوقت رصيفة للثقافة، ولتبقى بعد توقفها سنة 1945 .

في خضم هذه المنافسة قدمت « الثقافة المغربية » عدة إسهامات، لكتاب مغاربة خاضوا في العديد من المواضيع التي كان يطبعها الرزانة والإبداع، بحيث لم نجد بها مواضيع

صدامية، ولا تحريضية، بل حتى النقد كان نادرا ما يظهر على صفحاتها، زد على ذلك لجوء الكتاب إلى الأسماء المستعارة في السنة الأخيرة من حياتها خلافا لما كانت عليه العادة في السنين الأولى. ولإعطاء بعض الإيضاح عن كتاب تلك الفترة نقدم الأسماء الصريحة المستخرجة من إحدى عشر عددا، تغطي سنوات الصدور التي اطلعنا عليها دون اختيار أو قصد وهى كما يلي:

أحمد بن غبريط، علال الجامعي، محمد السايح، عبد الهادي الشرايبي، أحمد ابا حنيني، عبد الرحمن الفاسي، محمد المهدي الحجوي، محمد البزيوي، محمد بن ابراهيم، عبد المالك البلغيثي، ادريس الكتاني، الرشيد الدرقاوي، محمد العربي العلمي، عبد العزيز بن عبد الله، عبد الحميد عمور، الصديق الفاسي، المنتصر الكتاني، الحسن البونعماني، عبد السلام العلوي، حماد العراقي، محمد بن ابراهيم الكتاني، محمد بن عبد الله، ادريس الإدريسي، محمد الحبابي، محمد كنون، محمد غريط، محمد التطواني، أحمد لحلو، عبد الحفيظ العلوي، الحسن التناني، أبو بكر القباج، عبد الهادي بوطالب، محمد بن محمد بن الحاج، أحمد البدراوي، عبد القادر الهاشمي.

وأبرز الذين تكررت أسماؤهم الصريحة على صفحات المجلة ضمن الأعداد السالفة:

محمد المهدي الحجوي (6 مرات) - عبد الرحمن الفاسي (6 مرات) - عبد الهادي الشرايبي (5 مرات) - ادريس الكتاني (5 مرات) - محمد البزيوي (5 مرات) - علال الجامعي (4 مرات) - ادريس الإدريسي (4 مرات) - محمد لحبابي (4 مرات)

أما المواضيع الكتابية، فكانت متنوعة، نذكر منها على سبيل المثال:

أطوار الجنين وعلاقة الجسم بالأرض - أثر الإسلام في المرأة - حول التراث المغربي - أيام عكاظ بتزرولت - صراع السنة والابتداع - العبقرية والبطولة - الفن في الشعر العربي - العبقرية والذوق - نظرة جديدة في تأسيس مدينة فاس.

وهى مواضيع، كما يتضح، لا تثير جدلا ولا تفسد للود قضية، بخلاف ما كنا نراه في مجلة

« المغرب » التي سبقتها، ناهيك بمجلتى « السلام » و « المغرب الجديد » اللتين كانتا لمامع الرقابة صولات انتهت بتوقفهما عن الصدور بعد سنة بالنسبة للأولى وسنتين بالنسبة للثانية بعد أن خاضتا معارك سياسية في ثوب أدبيكان لها ما بعدها. ومع ذلك تبقى مجلة « الثقافة المغربية » منبرا فكريا متميزا، ساهم في إثراء فكرة النهضة بالمغرب، لا على مستوى الاهتمام بالإنتاج المغربي، ولكن أيضا بالتطرق لأشكال مختلفة من المعارف، وإبراز عمل بعض الأسماء الفاعلة في الساحة المعرفية، من ذلك مثلا سلسلة من المقالات تحمل عنوان: « مع أدبائنا المعاصرين » بتوقيع « زياد » خصص حلقة منها للأستاذ عبد الله ابراهم ليقدم للقراء ديوان صديقه عبد القادر حسن فقال:

« أذاع عبد القادر ديوانه، وبإزائه عشرات من الشعراء والمؤلفين لم يجرؤوا على الإذاعة مثله، ولم يجرؤوا أن يعرضوا على الناس ما ألفوا وما كتبوا كما عرض هو ما كتب على الناس. ودرس عبد القادر في كلية تجهل الأدب، وتزدري بكل شكل غير « خليل » وغير « المكودي » أو « الأشموني » فهى تكره الأدباء، وتسخر من الأديب، وتعد الانصراف إليه جريمة لا يطمس أثرها في النفوس، ولا يمحى شرها، ولا يساقط عارها، ولكن عبد القادر استطاع أن ينصرف إلى الأدب بعض الانصراف، واستطاع أن يدرس من الأدب بعض الدرس، واستطاع أن ينظم فيه وأن يكتب على الإجمال » .

فالحال في عبد القادر حسن هو نفس الحال في أخينا عبد الله، فهو لم يقرأ في أول أمره قراءة تغاير هذه أو تباينها، ولا هو اتخذ لنفسه طريقا غير الطريق التي سلكها جميع أدبائنا في أول عهدهم بالقراءة والطلب ...

أليس في هذا الشكل من التعريف بأدبائنا في الأربعينيات وهم ما يزالون في عنفوان الشباب تأييد لما ذهبنا إليه بأن « الثقافة المغربية » كانت مجلة رزينة أضافت الكثير للحركة الأدبية بالمغرب وقتها؟ وهل كان أحد سيخسر شيئا لو على الأقل اهتم بهذه المجلة وكتابها من طرف منابرنا الإعلامية والثقافية التي تعيش على الكلمة وبها؟